

اقتصاد

عبد الحليم فضل الله: لبنان يا وطن «اللامساواة»

البر داغر *

قدم الدكتور عبد الحليم فضل الله عملاً تأسيسياً بالعربية في كتابه الصادر عن «دار الفارابي» تحت عنوان: «فخ اللامساواة». كتاب يتناول مسألة توزيع الدخل وأثر التفاوت في الدخل على النمو الاقتصادي، وذلك في النظرية وفي الحالة اللبنانية. والكتاب شيق لأن كاتبه من القلة التي تحمل همّ فهم التجربة اللبنانية برمته وإلقاء حكم عليها. وهو استخدم توزيع الدخل مدخلاً إلى ذلك. أما اختيار التفاوت في الدخل والثروة والفقر مدخلاً لتناول التجربة اللبنانية، فلعله كان نتيجة التأثر بالأهداف التي وضعتها المؤسسات الدولية وخصوصاً البنك الدولي، منذ ولاية ولغتون (1995-2005)، واعتبرت أن مواجهة الفقر هي الهدف الأول لسياسة التنمية التي تدعمها (واد، 2010).

يتضمن الكتاب أربعة موضوعات محددة: عرض مسهب للأدبيات النظرية في ميدان علاقة التفاوت في الدخل بالنمو. وهو يضع منطلقاً للنقاش أطروحة كورنتس، أحد الباحثين الأوائل في «اقتصاد التنمية» الذي رأى عام 1955 أن التفاوت في الدخل يكون كبيراً ثم ينخفض مع تقدم سيورة التنمية والنمو. ثانياً، عرض شامل لسلاسل الأدوات والمفاهيم المستخدمة في قياس تفاوت الدخل والفقر؛ وثالثاً استعراض التجربة اللبنانية منذ التصرفية مع التركيز على عنصرى تفاوت الدخل والنمو خلالها؛ وأخيراً عرض للنتائج لجهة تفاوت الدخل والفقر في حالة لبنان. يغلب الكتاب الأدبيات النبو-كلاسيكية الطاغية في كل ميدان في عرض الأدبيات الذي يقدمه، مستعرضاً كل أنواع الأفكار التي قدمها باحثو هذه المدرسة. أما الفكرة الأساس التي تدور حولها النقاشات،

فهي: هل أن التفاوت في الدخل يعزّز النمو أم أنه يشكل إعاقة له. وهناك من قالوا إن التفاوت هو شأن جيد لجهة حفز النمو، وأن الاقتصادات القائمة على وجود لامساواة كبيرة في الدخل هي الأكثر نمواً.

لا يقتصر الفصل على عرض الأدبيات التي تعتمد منهجية الاقتصاد البحت، لكنه يستعرض أيضاً الأدبيات المحدثّة في الاقتصاد السياسي النيو- كلاسيكي حول هذا الموضوع. وقد عرض الباحث ثمانى مقاربات مختلفة للمسألة المطروحة غير تلك التي كانت قد اتخذت موقفاً مع أو ضد كورنتس. أي أن النقاش في هذا الشأن واستعراض تفاصيله، لم يكونا بالأمر الهين. وهو ما حدا بالباحث إلى إعادة تجميع هذه المقاربات في لائحة وتبويبها تحت أربعة عناوين في آخر الفصل (ص. 84-85).

ترد في الكتاب أسماء ممثلي التيار الما-بعد كينزي، خصوصاً نيقولاس كالدور من جماعة كامبريدج، مع عرض لبعض أفكارهم (ص. 56). ونحن جميعاً نستعرض كل أنواع الهذر الذي تقدمه النظرية النيو- كلاسيكية لإثبات أهليتنا كإقتصاديين ونقول عن كينز والما- بعد كينزيين ما نقوله هذه الأدبيات. وغالباً ما نسيء إليهم. والأمل أن الدكتور فضل الله بعد هذا الإنجاز المتمثل في استيعاب الأدبيات النيو-كلاسيكية، سوف يذهب إلى أبعد ويتعمق أكثر في الأدبيات الما- بعد كينزية.

خصّص الباحث الفصل الثاني من الكتاب لعرض منهجيات وأدوات قياس الفقر والتفاوت في الدخل. وهي أدوات عديدة ومتنوعة. وقد أجرى مسحاً شاملاً لها. وهي ازدادت كثيراً منذ ظهور رداد الفعل الأولى على «سياسات التصحيح الهيكلي»، من خلال مقولة «التصحيح بوجه إنساني» أو آخر ثمانينيات القرن الماضي. وقد كان ذلك على يد منظمة



يشكّل
تعاطيه
مع
النظرية
باعتبارها
أساساً
للنقاش
ميزة عنده

برمتها. أما كتاب عبد الحليم فضل الله، فهو قراءة نقدية للتجربة، مع جهد لإظهار أنه كان ثمة نمو ونجاحات في مراحل منها.

والصفحات العديدة المخصصة لحقبة ما بعد 1992 هي الأفضل من دون أي شك. وقد استخدم الباحث لدراسة الحقبة مراجع عديدة من بينها تلك التي أصدرتها المؤسسات الدولية. وقد حوت مساهمته مجموعة واسعة من المعطيات والأرقام المفيدة. وبلايت الباحث أشار إلى صفحات المصادر التي اعتمدها في متن النص لتسهيل عمل الباحثين.

وفيدنا الفصل الرابع في إظهار أن لبنان جاء في المرتبة الرابعة عام 2013، بين 174 دولة لجهة اللامساواة في توزيع الثروة... أي أن هناك ثلاث دول فقط في وضع أسوأ من وضعنا على هذا الصعيد. كما أن توزيع الثروة في لبنان كان الأسوأ بين الدول العربية (ص. 325-326). وقد تراجعت حصة الرواتب والأجور في الناتج من 35,5% عام 1997 إلى 22% عام 2012 (ص. 332-333).

يسهم الدكتور فضل الله منذ سنوات في النقاش حول الواقع الاقتصادي والاجتماعي اللبناني، لكنه بهذا الكتاب وضع قدماً ثابتة في وسط محدود عددياً يمثلها الأكاديميون اللبنانيون وغير اللبنانيين الذين تشكل التجربة اللبنانية ميدان اختصاصهم. وكتابه يعكس تمزساً في الموضوعات التي تقع ضمن سياسات الاقتصاد الكلي. كما يعكس مقدرة قوية على استخدام تقنيات الاقتصاد القياسي. ويشكّل تعاطيه مع النظرية باعتبارها نقطة انطلاق أساساً للنقاش ميزة عنده. وهي ميزة تضيف أهمية أكبر على تدخله كباحث، وسط جو تعين طبيعة النقاش السياسي فيه نخبة سياسية أمية في الاقتصاد.

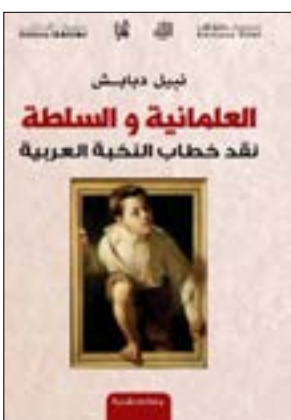
*اختصاصي في العلوم الاقتصادية

يفسر تركيزه مع المؤسسات الدولية الأخرى على موضوع الفقر. الفصلان التاليان من الكتاب هما قراءة للتجربة اللبنانية تحت عناوين النمو والتفاوت في الدخل والفقر. تناول الكاتب تجربة لبنان منذ المتصرفية حتى 2012. يفاجأ القارئ المتخصص بجمهرة من المراجع التي كان يجهل وجودها حول التجربة اللبنانية، مثل الكتاب الجماعي الذي أشرف عليه فؤاد افرام البستاني (1970) أو أطروحة كيروز (1970). هناك في المقابل إغفال في عمل الباحث للمساهمات التي قدمها سليم نصر، وروجر أوين، وكاتب هذه السطور في قراءة التجربة. وهذه الأخيرة أقت حكماً سلبياً على التجربة

اليونيسيف، قبل أن تعتمد المؤسسات الدولية هذه المقولة وتطورها لتصبح مقارنة قائمة بذاتها تحت عنوان «التنمية البشرية المستدامة» (SHD). ويصدر «برنامج الأمم المتحدة للتنمية» (UNDP) منذ عام 1990 تقارير سنوية حول «التنمية البشرية» تتناول مختلف مناطق العالم (غور، 2000).

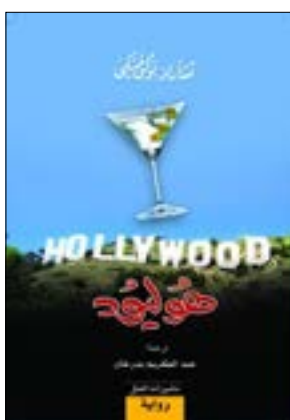
وقد رفض البنك الدولي تناول مسألة اللامساواة في الدخل والثروة في تقاريره، باعتبار أن هذه مسألة «سياسية»، وأنه مؤسسة لا تتعاطى السياسة (apolitical) (واد، 2013). ثم وافق على تناول موضوع اللامساواة في الفرص فقط. وهذا ما

لمحات



نبيل دبابش

في زمن الأصوليات الدينية، يحاول نبيل دبابش إعادة تعريف مفهوم العلمانية، وتصويب بعض المغالطات التي تسوّق لها القوى الظلامية في كتابه «العلمانية والسلطة - نقد خطاب النخبة العربية» («منشورات ضفاف»، «منشورات الاختلاف»، «دار الأمان»، «كلمة النشر»). يدعو الكاتب الجزائري في مؤلفه، إلى تجديد النقاش الفكري حول موضوع العلمانية وقيمتها المعرفية والسوسيولوجية، وعلاقته بكافة بالسلطات والقوى العربية منها السياسية والدينية.



تشارلز بوكوفسكي

عام 1989 كتب الشاعر الأميركي الراحل تشارلز بوكوفسكي روايته «هوليوود»، التي تحكي مشروعاً خيالياً لتحويل إحدى رواياته إلى فيلم سينمائي هوليوودي. يتكلم بوكوفسكي بلسان هنري تشيناسكي الذي يُطلب منه أن يكتب سيناريو. في الرواية التي صدرت أخيراً بالعربية بعنوان «هوليوود» («منشورات الجمل» - ترجمة: عبد الكريم بدرخان)، يلجأ بوكوفسكي إلى السخرية اللاذعة لكشف أجواء هوليوود الداخلية وبعض شخصياتها الحقيقية.



تزفيتان تودوروف

يُعدّ المفكر البلغاري الفرنسي تزفيتان تودوروف من أبرز من دحضوا مقولة «صدام الحضارات» داعياً إلى ضرورة البحث عن نموذج فكري يحمي الخصائص الثقافية المختلفة. أخيراً صدرت الترجمة العربية لأبرز كتبه بعنوان «نحو رؤية جديدة لحوار الحضارات - تأملات في الحضارة والديمقراطية والغيرية» عن «منشورات المتوسط» (ترجمة وتحرير وتقديم: محمد الجرطي). يحوي الكتاب أبرز آراء تودوروف، حول ضرورة توقف الغرب عن تأجيج فكرة «الخوف من البرابرة المتخلفين».



مسعود حمدان

«الكتابة للحقيقة: تنظيرات وإبداعات عربية حديثة كثقافة نقدية» (دار الفارابي) هو عنوان الكتاب الجديد لمسعود حمدان. يعالج الباحث والأكاديمي الفلسطيني في مؤلفه، تنظيرات وأعمالاً إبداعية عربية حديثة في النصف الثاني من القرن العشرين. يحاول الكاتب تحدي بعض المفاهيم الراسخة حول استحالة كشف أو معرفة الحقيقة، عبر تتبع واستنباط صراع القوة والحقيقة وتجلياتها في النصوص المختارة.



محمد الغريبي عمران

يعود محمد الغريبي عمران في رواية «مملكة الجوّاري» (دار نوفل - هاشيت أنطون) إلى القرن الخامس الهجري ليحكى قصة الأمس واليوم. تدور أحداث الرواية التاريخية في فترة الصراعات المذهبية المحترمة بين إمارات جنوب شبه الجزيرة العربية. يركز الروائي والسياسي اليمني على فترة حكم أروى للدولة الصليحية التي امتدت لخمس سنين عاماً، وعلى ممارساتها المختلفة، منها تربية الجوّاري على فنون الإغواء والحديث والولاء المطلق لها، لإخضاع أمراء القلاع والحصون.



اوليفيه رها

بعد «الجهل المقدس»، و«عولة الإسلام»، و«تجربة الإسلام السياسي»، انضم «الجهاد والموت» لأوليفيه روا إلى المكتبة العربية أخيراً. في مؤلفه الجديد الذي صدر عن «دار الساقى» (تعريب: صالح الأشمر)، يحلّل عالم الاجتماع الفرنسي الأسباب التي تدفع بعض الفرنسيين من الجيل الثاني للمهاجرين للانضمام إلى «داعش». يركّز المؤلف على معظم الذين نفذوا عمليات إرهابية في فرنسا وأوروبا، ويظهر أساليب داعش في استقطابهم.